

المنحى التداولي في مناهج التعليم الافتراضي

الدكتور سيدي محمد غيثري - جامعة تلمسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن مناهج التعليم الافتراضي كغيرها من المناهج استفادت من الدراسات المنهجية المختلفة ، إلا أنها اصطنعت أسلوباً عملياً مختلفاً ، يتفق مع المناهج الأخرى في بعض الجوانب ويختلف معها في أخرى. فيما يتعلق بالتعليم الافتراضي على وجه الخصوص يهدف إلى تهيئة الاتصال في الوقت الذي يرغب فيه المتعلم ، وفي المكان الذي يختاره ، وموضوع الاتصال يحمل أركان الخطاب في شكله ، إلا أنه محاط بحرارة نفسية واجتماعية وتعليمية وبيداغوجية مختلفة عن التعليم العام .

ولما كان التعليم الافتراضي، يختص عن غيره بارتباط عبر أدوات تواصل متنوعة، وبوسائل مختلفة موضوعها هو الخطاب بصورتيه الصوتية «النطقية»، والخطية، فإنّ التواصل عن بعد، يختلف عنه بين المتكلمين العاديين لأنّ الأمر هنا أوسع، والعلاقات التي تربطها أكبر. ولتطويع هذه الإجراءات العملية بحيث يتمكن المستعمل من التحكم فيها ، فإنّه علينا أن ندرك أنّ المنهج الذي نسير عليه، يتطلب إدراك مجموعة من الاعتبارات، والتعامل الوجداني¹ .

1 . أطراف التواصل في استعمال منظومة التعليم عن بعد ، هي خاصة بالأعضاء الذين لم يتمكنوا من التنقل ، إلا أنّ إمكانياتهم في الاتصال تكون جاهزة متى رغبوا في ذلك ، والتحاقهم بالتكوين ، أو الوصول إلى المصادر ، تعدّ من القيم المضافة ، وفق المسعى التكنولوجي² ، وتتمثل في : .

. المرسل المنتج "المنفذ"³: (أستاذ ، محاور ، متعلم)

مكانة الأستاذ : يحتل الأستاذ المكانة الرئيسية في العملية ، فهو يهيمن على النصيب الأكبر من التدخلات في كل الحصص 46%، وللتذكير فقد لاحظ طوش 1962/ 1972 في التعليم الحضوري في أقسام الابتدائي 41 % للتلاميذ ، و 59 % للأساتذة . ومهما يكون الاختلاف كبيراً فإن الأمر يدل على المكانة التي يحتلها الأستاذ . وفي التعليم الافتراضي الجامعي فإن الدراسات أثبتت أن الأستاذ أو المرافقة قريبة من التعليم الحضوري أو 50%⁴ .

وما ينبغي الإشارة إليه هنا ، هو أن نميز بين نوعين من القضايا المرتبطة بالمرسل المنتج الذي يتغير وفق الظروف والأحوال ، وتمثل من جهة في "المشاكل" ومن جهة أخرى في ما يسميه البعض بـ "الخفايا"⁵ .

فالبنى المعرفية التي يطورها الإنسان على أساس التجربة في تعلم اللغة تبقى من أهم التساؤلات في النظام التعليمي ، وفي كيفية تطور هذا التعليم ؟ ففي هذه الحالة يدور النقاش حول التفاعل بين العقل والمحيط وعمليات النضوج التي تمر بمراحل مختلفة للبنى المعرفية . وأما بالنسبة للغة فإن التغيرات سريعة ومرحلية في فترة مبكرة من الحياة حتى يحدث الاستقرار ، الذي يتمثل في الحالة النهائية للعقل التي تتمثل فيها معرفة اللغة بشكل من الأشكال⁶ .

. المرافقة (le tutorat) ، هي الحلقة الوظيفية الوسيطة في العملية التواصلية في التعليم عن بعد ، فهي تختلف في البعد المفهومي التصنيفي لها ، والبعد العلائقي للمفاهيم الوظيفية ، وهي كلها متمثلة في الدليل النظمي ، وتكتفي بتوضيح الشكل الدقيق للطبيعة العلائقية لهذه المفاهيم ، وذلك بتعريف مجموعة من الوظائف القواعدية⁷ .

. المستقبل (أستاذ ، محاور ، متعلم ، ومجموعة من المتعلمين)

إنّ إسناد الوظائف التداولية طبقاً لشروط العملية التواصلية، ووفقاً للأسلوب التعليمي الافتراضي تحمل أبعاداً دلالية مشروطة بضوابط صارمة تراعى فيها المقبولية الدنيا بالنسبة للجمل التي تعتمد إسناد الوظائف التركيبية في ظل الأنظمة المحددة لهذه الوظائف التداولية⁸.

2. إعداد المحتوى البيداغوجي الرقمي :

إنّ إعداد المحتويات البيداغوجية الرقمية تعد من الأمور ذات الأولوية، لأنها تراعي كفايات ومقامات لإنجاح التعليم غير الحضوري، نظراً لما يهدف إليه من تسهيل على المتعلم باستعمال الوسائل السمعية البصرية ، وتسند للمحتوى البيداغوجي وظائف ذات منفعة فردية وجماعية في الاتصال الثنائي أو الجماعي عبر المنتديات اللسانية الافتراضية Forum التي يسمح فيه بالاشتراك للجميع (مع اعتبارات التحكم) .

تنوزع وظائف الفاعلين بحسب الأدوار التي يتطلبها الخطاب الذي يعد في هذا المستوى زئبقاً عائماً ، لا يستقر على وضع ثابت ، لأنّ الإمساك به صعب ، فهو ينتقل بين أطراف التواصل بحسب ضوابط التحكم التي تسهل على بعض الأطراف في مختلف المراحل التعليمية ، ويستعصي على البعض في مراحل معينة ، نظراً لـ :

. للأستاذ حق التدخل للتسجيل بالصوت والخط وفي الوقت الذي يرغب فيه وفي المجال الذي يريده .

. للوسيط حق التدخل للتسجيل بالصوت والخط وفي الوقت الذي يسمح به ، وفي المجال الذي يخصص له .

. المتعلّم حق التدخل للتسجيل بالصوت والخط وفي الوقت الذي يرغب فيه ، وفي المجال الذي يرخّص له .

إنّ البنيات التواصلية التركيبية، والدلالية، من حيث هي أركان أساسية يرتكز عليها التواصل التعليمي في مساره الخطابي ، لأن الخطاب هو موضوع يفترض وجود فاعل منتج، وعلاقة حوارية مع مخاطب.

والتعاون بين اللسانيات، وعلم التواصل، والتداولية؛ تحكمه علاقة متميزة ، يوضحها ويتركبها التعاون مع العلوم المختلفة ، خاصة إذا تعلق الأمر بالتعليم عن بعد.

والسؤال كيف يرتبط التعليم الافتراضي بفكرة التداولية أو الخطابية التي تميّز بها، فسّمي باسمها، وهي مسألة حظيت باهتمام علم التواصل واللسانيات التداولية، وكان لها حظّ في هذه الدراسة التي تركز على إبراز كيفية تعليمية جديدة ، وذلك بالانطلاق من ثنائية "اللغة والكلام" التي ركز عليها فرديناند دي سوسير"، ومن أتى بعده من اللسانيين، وأضافوا عليها البيداغوجية الخاصة ، والتقنيات اللازمة للمنتديات الافتراضية في شبكة الأنترنت.

وتتكون المجموعات وفق أنماط منها ..

. غياب الأفواج : كل الأعضاء يكوّنون مجموعة واحدة .

. أفواج مفصولة : كل فوج لا يرى إلاّ فوجه ، والأفواج الأخرى محجوبة.

. أفواج مرئية : كل فوج يعمل فقط مع مجموعته ، لكنّ الأفواج الأخرى تكون مرئية .

قد يبحث الدارس عن الأرضية التي انطلق منها اللساني حول الوظيفية التداولية للخطاب في الفضاء الافتراضي ، ويستمد من النظرية اللسانية التواصلية التي اهتمت إليها منحاه التداولي .

ويمكنه أن يبدأ مع مدرسة براغ، وفيها مع جاكوبسون وكييلولي وبين فنيست وغيرهم، وما يمكن أن تولّده هذه الوظائف التداولية من دلالات وظيفية تكون فيها الرسالة غاية في ذاتها؛ لأنّها العمل الذي يستقطب كل أطراف التعلّم تقليدياً كان أم افتراضياً .

ومن هنا يمكننا الحديث عن النظرة التكاملية للتداولية ، التي تبرز جلياً في التعاون المثمر بين المعارف، والمناهج النقدية اللسانية التي تتخذ من الوظيفية في الاستعمال البلاغي الذي يكون فيه الخطاب العماد الأساسي للتعليم الافتراضي، مع استغلال الأداة وتنويع الوسيلة في النظام التعليمي ، واستسلامه لسيطرة المنهج المعاصر، الذي يكسر قوانين المكان والزمان أثناء التواصل في الفضاء الافتراضي .

الإحالات

¹ -JACQUINOT G. & CHOPLIN H. (2002). *La démarche dispositive aux risques de l'innovation, Education permanente (Les TIC au service des nouveaux dispositifs de formation, Numéro thématique)*, 152, 185-198.

-VIENS J. (2003). Intégration des savoirs d'expérience et de la recherche : l'incontournable systémique. In CHARLIER D. & PERAYA D. (Ed) (à paraître). *Les technologies éducatives : une opportunité d'articuler les savoirs d'expérience et ceux issus de la recherche ?* (Symposium du REF 03, 18-19 septembre 2003, Genève).

² - Fullan, M.G *The meaning of educational change, 2nd Ed.* New York, NY : Teachers College Press , 1991 , p2 .

³ د . أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى 1985 ، ص 9/8 .

⁴ Daniel PERAYA (TECFA, Unité des technologies éducatives, Université de Genève) , Patricia DUMONT (Bureau Et alii, Genève) P7 .

⁵ نعيم جومسكي ، محاضرات وذن ، تأملات في اللغة ، ترجمة د. مرتضى جواد باقر ، و د . عبد الجبار محمد علي ، ومراجعة د. عبد الباقي الصافي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1990 ، الطبعة الأولى ، ص 95 .

⁶ المرجع نفسه ، ص 95 .

⁷ نعيم جومسكي ، جوانب من نظرية النحو ، ترجمة د. مرتضى جواد باقر ، مطابع جامعة الموصل ، سنة 1985 ، ص 96/95/94 .

⁸ د . أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ص 17/16 .